تصدير

أ.د. جعفر عبد السلام

الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

أثــارت أطــروحة صــدام الحضارات للكاتب صموئيل هنتنجتون كثيرًا من الجلــبة والجــدل، وانقسم الناس حولها فإذا هم فريقان يختصمون، فريق يرى العلاقــة بــين الإسلام والغرب علاقة صراع وتدافع، حيث تسعى كل حضارة للهيمــنة على الأخرى، وتذويب هويتها، وفرض ثقافتها عليها. بينما يرى فريق آخر أن العلاقة ليست إلا حوارًا تحتفظ فيه كل حضارة بمقوماتها وخصائصها.

وقــد أولــت الحــضارة الإسلامية "قضية الحوار" اهتمامًا واسعًا، ووضعت للحــوار أسسًا يقوم عليها. فقد جاء القرآن منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، ليقرر حقــيقة واقعة، وسنة ثابتة من السنن الكونية، وهى سنة الاختلاف، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّــكَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]، ومن ثم فقد كان الحوار ضرورة يقتضيها التعايش بين الحضارات وإن اختلفت اتجاهاتها وتباينت سماتها.

والحــق أن العلاقــة التي تربط بين الحضارة الإسلامية والغرب قد شهدت فتــرات مــن المد والجزر، فبالرغم من التبادل العلمي بين الحضارتين الذي لا ينكره أحد من الطرفين، خاصة الغرب الذي استفاد كثيرًا من إسهامات الحضارة الإسلامية، في الفترة التي كانت أوروبا تعج فيها بالخرافات التي كانت سببًا في تخلفها آنذاك.. أقول: بالرغم من هذه العلاقات المبكرة، فقد شابتها أمور عكرت صــفوها، حــيث قامــت حــروب ضــارية انتهت إلى السيطرة على المشرق الإسلامي، ومن ثم ساعدت كثيرًا في تشويه صورة الغرب لدى المسلمين الذين لــم يروا الإنسان الغربي إلا جشعًا يسعى إلى سلب موارد بلادهم مستخدمًا في ذلك أبشع الوسائل.

وترسيخا لمبدأ ضرورة الحوار بين الحضارات تضع رابطة الجامعات الإسلامية بــين يــدي القارئ الكريم هذا العدد الجديد من سلسلة "**الدراسات الحضارية**" حول "

الإســلام والتفاعل الحضاري" للأستاذ الدكتور/ أحمد العثيق، وهى دراسة قيمة استحقت جائزة الرابطة لعام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م.

وقد بذل المؤلف جهدًا كبيرًا في معالجة قضية الحوار بين الحضارات، فجاء البحث في مجمله رصينًا من حيث تقويم العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى، في ضوء الماضي والحاضر، وكذلك دور الحضارة الإسلامية في بعث حضارة الغرب على وجه الخصوص.

كما تناول بالتحليل تلك العوامل التي واكبت فكرة الحوار الحضاري، أو الصدام الحضاري من خلال الأطروحات المختلفة، وأسباب العداء بين الإسلام والغرب، ثم جاء اقتراح المؤلف بنموذج لتحقيق التفاعل الحضاري بين الإسلام والحضارات الأخرى.

وإيمانا من رابطة الجامعات الإسلامية بضرورة الحوار الحضاري، بل بفرضيته، ورغبة منها في أن تسود ثقافة الحوار جميع الأوساط العلمية والثقافية في أرجاء العالم الإسلامي، فقد رأت الرابطة نشر هذا الكتاب الذي يشتمل على فكر عميق ومتوازن في نظرته إلى قضية الحوار- حتى يتم تعميم فائدته على الجامعات، ومن ثم يستفيد منه الباحثون والمثقفون على حد سواء.

والله نسأل أن يهدينا جميعاً سواء السبيل،،،

مقدمة

إن المشكلة الرئيسية فى فهم الآخر تكمن فى التجربة الشخصية ، التى لم تعد مصدراً أساسياً لمعرفة الآخر كما كانت فى المجتمعات التقليدية . لقد تعددت وسائط هذه المعرفة ، كما اتسعت سوق بيع الصور والأحكام المسبقة . ومن اكثر الصور مقاومة ورواجاً صورة التهديد .

والبعد الثقافى عنيد . لذلك فتجاوز المسبقات لا تكفى فيه النيات الحسنة كذلك الجدلية – سواء قامت على الربط أو على المفارقة – لا تحيل على سذاجة افتراض التأثير المتبادل بين الأنا والآخر ، ذلك أن الطرفين – وبينهما وسائط معقدة وكثيرة – ليست لهما بالضرورة ، الدرجة نفسها من الاستعداد للتفاعل ومن ثم ينبغى التأكيد على الفرق بين صورة الذات وصورة الآخر فى قابليتها للتغيير .

ولما كانت الدعوة إلى تجاوز الانتماء الضيق فى اتجاه التفاعل مع الآخر ، كانت الدعوة الى تخطى عراقيل التنميط الذي تخضع له الأفكار والأحكام . إن هذا التنميط وما يقوم علية من مسبقات هو مصدر رئيسي للنزاع ولانعدام التسامح مع الآخرين . وهو أمر يستفحل اكثر عندما تعمد الأيدلوجيا الى استغلال البعد الثقافى . على أن تخطى العراقيل لا يكون الا عندما يحصل الوعى بأننا نحمل عن الآخر أفكاراً وأحكاماً نمطية ، وبأن علينا التدرب على النظرة والتهيؤ لها ، إذا ليس كل عين بقادرة على أن ترى .

والأمر المثير للجدل انه على خلاف جميع التكهنات التى ذهبت الى أن انتهاء الحرب الباردة سوف يوفر مناخا أفضل لإحلال السلام والأمن على المستوى الدولي ، فإن التطورات الفعلية جاءت على النقيض تماما ، حيث تفاقمت الحروب التجارية والحروب القومية والحروب الأهلية على امتداد الساحة الدولية . وربما مما يثير الانتباه ارتباط هذه الصراعات – فى جانب مهم منها- بالبعد الحضاري او البعد الإثنى . فنحن فى حاجة الى نظام عالمي انسانى يؤكد على جوانب الاتفاق الإنساني اكثر من تأكيده على جوانب

الاخـــتلاف ، ويرســـى الحقـــوق الأساســـية للإنـــسان ، ويحترم الاختلافات والخـــصوصيات الدينـــية والقومية والثقافية عامة ، وينتشر فيه السلام والعدل وإدارة الـــتقدم والـــتعاون والتكامل لشعوب الأرض جميعا بهدف تحقيق إنسانية الإنـــسان عـــن حـــق . إن ذلك لن يتحقق ما لم يرسخ مفهوم الحوار فى اطار الحرص على حرية الاختلاف والاجتهاد والإبداع واحترام الرأي الآخر بصرف النظر عن اتجاهه الفكري او العقائدي .

لابـــد للحـــوار الحـــضاري أن يولـــى الاحتـــرام الواجب لما بين هذه الحضارات من اختلافات فى نفس الوقت الذي تبنى فيه على الجوهر الأخلاقي المشترك الذي يمثل الجانب الأهم والأوفر فى بنية الحضارة الإنسانية .

وعلـــى الـــرغم من الصراعات التى اجتاحت العالم فلم يخل الأمر من تـــاريخ طـــويل وضـــاء مـــن العلاقات السلمية والتعاون الاقتصادي والتجاري والتكنولوجي وتلاقح الأفكار والخبرات الثقافية ، وحتى على المستوى العقائدى ، فـــإن أوربـــا مدينة لمنطقة الشرق العربى الإسلامي التى شهدت استقبال رسالة السماء بدءا من إبراهيم علية السلام وحتى الرسول الكريم محمد (علية الصلاة والسلام) ، مرورا بموسى وعيسى عليهما السلام .

إن الحاجة ملحة إلى تقييم اكثر توازنا وموضوعية لحقيقة التفاعل الحضاري ولـــيس هـــذا بغرض تجاهل حقائق معينة قد تكون مريرة او بغيضة ، بلى هي دعوى للسير فى طلب الحقيقة كاملة من اجل الحوار البناء وتجنبا للصراع الذي لن ينتصر فيه أحدا فى النهاية .

بهـــذه الفلـــسفة حاولـــنا من خلال هذه الدراسة الالتزام بالمنهج العلمى والموضـــوعية العلمـــية بهدف الوصول الى الحقيقة : ولسوف ترى ..ولسوف ترضى .

أ.د./ احمد مصطفى العتيق